باياتى وهو استفهام توبيخ وانكار قوله ام اى شئ كنتم تعملونه يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد
وهو اى شئ منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان يكون ما استفهامية مرفوعة المحل
على الابتداء وذا بمعنى الذى وكنتم تعملون صلته والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف
والمعنى اى شئ الذى كنتم تعملونه وام منقطعة والاستفهام الذى هو فى ضمنه للتبكيت والالزام
يحمله على الاقرار الذى سئل عنه اولا على طريق التوبيخ والانكار وبخهم اولا بقوله اكذبتم بادى الرأى
ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كانه قيل دعوا ما نسبتنا اليكم من التكذيب فقولوا
لاى شئ كنتم تعملون غير التكذيب قوله ووقع القول عطف على قوله قال اكذبتم باياتى
والقول بمعنى العذاب القول الموعود للتكذيب اى المكذبين قوله بعد ذلك ظرف لقوله حل اى
حل بهم العذاب الموعود بعد ان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم فى النار
ثم قال فهم لا ينطقون كما قال الله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
وكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق فى مشاهدة عذاب الجحيم وقال
قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل لا ينطقون
بما يكون لهم حجة او عذرا لان الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم اهوال
القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر والنبوة مبالغة فى الارشاد
الى الايمان والمنع عن الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا
يبصرون فيه اما وجه دلالته على التوحيد فما ذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور الى الفرع
واما وجه دلالته على بعثة الرسل فما ذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب
معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل قوله كان اصله ليبصروا فيه
تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى فى قوله ليسكنوا ومبصرا وان كان الاول علة لجعل الليل
اى لخلقه والثانى حالا من النهار من حيث الاعراب ووجه التعليل ان المعنى خلقنا الليل ليكون
سكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل حالا
مواحدا له للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما
يقوم باهله فلما قيل والنهار مبصرا تعين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار
للمبالغة كونه ظرفا لابصار اهله ويوم ينفخ منصوب باذكر مقدرا وقيل انه متاخر عنه هو قوله
من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قوله فى الصور اى البوق
سمى يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كصوف جمع صوفة وصور جمع صورة كما قال سورة
وسور فيكون النفخ فى الصور عبارة عن نفخ الارواح فى صور الخلائق وقيل ان [illegible]

الصور عبارة عن شئ يشبه القرن وان اسرافيل عليه السلام ينفخ باذن الله تعالى فاذا سمع الناس
ذلك الصوت وهو فى الشدة بحيث لا تحتمله طباعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون والى
هذا القول ذهب اكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه السلام كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن
وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وروى انه عليه السلام سئل عن الصور فقال هو القرن و
ان عظم دائرته اى محيطه مثل ما بين السماء والارض فينفخ نفخة فيفزع الخلائق ثم ينفخ نفخة الفزع
فيموت اهل السموات والارض فاذا كانت وقت النفخة الثالثة جمع الارواح كلها فى الصور
ثم ينفخ الله فيخرج كلها كالنحل والزنابير ويأتى كل روح الى جسده ويمسك به من قال
النفخ ثلاثة جعل اولها للفزع وهو قوله تعالى ففزع من فى السموات والارض والثانية للموت وهو قوله
تعالى فصعق من فى السموات والارض والثالثة للاحياء بالله للبعث وهو قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون وقال بعضهم انها نفختان فالفزع والصعق كلاهما عبارة عن الهلاك
والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض
اى ماتوا لشدة الخوف وفى قوله فصعق من فى السموات الا بمعنى الا من يبلغ منهم الفزع الى ان يموتوا
ويحتمل ان لا يكون هناك قرن فضلا عن ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه مستعارا
لمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعى تشبيها لانبعاثهم بمجرد صوت الداعى
لانبعاث الجيش عند سماع صوت الآلة من غير توقف ولا تخلف احد منهم قوله وقيل الشهداء
قال ابن عباس هم الشهداء لا يموتون فهم احياء عند ربهم يرزقون وروى انه قال يا اخى ادرى
بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهداء الفزع يوم القيامة قوله حاضرون الموقف لختلا
قراءة من اتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله كان حمزة وحفص قرأ اتوه فعلا ماضيا
والهاء فى محل النصب على المفعولية والباقون آتوه على اسم فاعل مضاف الى الهاء قوله
ثابتة فى مكانها يقال جمد فى مكانه اذا لم يبرح قوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى
او من مفعوله لان الرؤية بصرية قوله وهى تمر جملة حالية من مفعول تحسبها والمعنى انك اذا
رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمتها لان النظر لا يحيط
بجميعها فتسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام اذا تحركت حركة سريعة
على نهج واحد فى السمت والكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الا ترى ان السحاب الاعظم
حركتها كما قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا اى يقلعها عن اماكنها ويسيرها
كتسيير السحاب بالريح ثم يدعها على الارض مستوية قوله مصدر مؤكد صنع الله [illegible]
منصوب [illegible] الذى اتقن كل شئ [illegible] فان قوله وهى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)